يعبر عن القلب بمحله كقوله ليثبت به فؤادك وقال الم نشرح لك صدرك يعني به القلب في الموضعين والعذاب استمرار الالم يقال عذبته تعذيبا وعذابا ويقال عذب الماء اي استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب اذا استمر به العطش فلم يأكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك واعذبته عن الشيء بمعنى فطمته والعظيم الكبير يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشان ومن الثاني سمي سبحانه عظيما وعظمته كبرياؤه

المعنى قيل في معنى الختم وجوه احدها ان المراد بالختم العلامة واذا انتهى الكافر من كفره الى حالة يعلم الله تعالى انه لا يؤمن فانه يعلم على قلبه علامة وقيل هي نكتة سوداء تشاهدها الملئكة فيعلمون بها انه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما انه تعالى يكتب في قلب المؤمن الايمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها انه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له وكما طبع على قلب الكافر وختم وسمه بسمة تعرف بها الملائكة كفره وكذلك وسم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملئكة بها وقد تاول على مثل هذا مناولة الكتاب باليمين والشمال في انها علامة ان المناول باليمين من اهل الجنة والمناول بالشمال من اهل النار وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل امرين احدهما انه طبع عليها جزاء للكفر وعقوبة عليه والآخر انه طبع عليها بعلامة كفرهم كما تقول طبع عليه بالطين وختم عليه بالشرح وثانيها ان المراد بالختم على القلوب ان الله شهد عليها وحكم بانها لا تقبل الحق كما يقال اراك تختم على كل ما يقوله فلان اي تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لا تفلح اي شهدت وذلك استعارة وثالثها ان المراد بذلك انه تعالى ذمهم بانها كالمختوم عليها في انه لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر

كقوله

كقوله صم بكم عمي وكقول الشاعر اصم عما ساءه سميع وقول الآخر لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي والمعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها وصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع عن الاصم وابي مسلم الاصفهاني ورابعها ان الله وصف من ذمه بهذا الكلام بان قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكر في قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ومثل قوله ام على قلوب اقفالها وقوله وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا في اكنة ويقوى ذلك ان المطبوع على قلبه وصف بقلة الفهم بما يسمع من اجل الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون فبين ذلك قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم فعدل الختم على القلوب باخذه السمع والبصر فدل هذا على ان الختم على القلوب هو ان يصير على وصف لا ينتفع به فيما يحتاج فيه اليه كما لا ينتفع بالسمع والبصر مع اخذهما وانما يكون ضيقه بان لا يتسع لما يحتاج اليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بان لا قلب له اذا بولغ في وصفه بالجبن لان الشجاعة محلها القلب فاذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كانت فان لا تكون الشجاعة اولى قال طرفة فالهبيت لا فؤاد له والثبيت ثبته فهمه وكما وصف الجبان بانه لا فؤاد له وصف من بعد عن قبول الاسلام بعد الدعاء اليه واقامة الحجة عليه بانه مختوم على قلبه ومطبوع عليه وضيق صدره وقلبه في كنان وفي غلاف وهذا من كلام الشيخ ابي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)